

التجريب الروائي ومسارات التحول والمغايرة من السلطة إلى الحداثة والإبداع

Narrative experimentation and paths of transformation and contrast from authority to modernity and creativity

زوليكهة زيتون*

جامعة 08 ماي 1945

قلمة/ الجزائر

Zoulikhazitoune24@gmail.com

تاريخ الارسال: 2023/07/10 تاريخ القبول: 2024/06/09 تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على حقيقة فعل التجريب الروائي التي تكشف عن مسارات التحول والمغايرة في النموذج المهيمن، حيث استثمرت مقولات الخطاب الحداثي لخلق رؤى واعية حول الذات والمجتمع والعالم، عن طريق الانتقال من سؤال الجنس إلى سؤال النص، ومن سؤال الهوية إلى سؤال الاختلاف حيث التجديد والتجاوز للأعراف والتقاليد الكتابية السائدة؛ لأجل إعادة بناء نموذج متجدد يشكل منطلقا جديدا للفعل الروائي ويخلق المفارقة والتنوع.

ومن النتائج المتوصل إليها إن التجريب الروائي هو رؤية إبداعية، مغامرة الكتابة، تحول ثقافي، بل هو إعادة تشكيل متجدد للمعرفة السابقة قبل كل شيء، عن طريق طرح أسئلة جديدة تتجاوز الماضي والحاضر وتستجيب بطريقة أجمل وأعمق للواقع المعاش، كما تحمل في طياتها أيضا بوادر أسئلة أخرى.

الكلمات المفتاحية: التجريب الروائي، السلطة، الحداثة، الإبداع.

Abstract:

This study aims to shed light on the reality of the act of narrative experimentation, which reveals paths of transformation and variation in the prevailing paradigm, where the sayings of modernist discourse were invested

* المؤلف المرسل.

to create conscious visions of self, society and the world. By moving from the issue of gender to the issue of text, and from the issue of identity to the issue of difference In terms of renewal, going beyond the prevailing biblical traditions in order to rebuild a renewed model.

Among the findings, narrative experimentation is a creative vision, a writing adventure, a cultural transformation; rather it is a renewed reconfiguration of prior knowledge above all. By asking new questions that go beyond the past and present and respond in a more beautiful and deeper way to the lived reality, and also bear the signs of other questions.

Key words: Narrative experimentation, Authority, Modernity, Creativity.

مقدمة:

الحديث عن التجريب الروائي هو حديث عن فعل المسألة الدائمة لما هو واقعي وفني؛ الذي يروم دائما إلى خلق نموذج إبداعي قادر على استثمار سياقات العصر والاجابة عن متطلباته؛ من خلال التمرّد على سلطة النموذج الروائي التقليدي والنزوع إلى التعدد والاختلاف عن طريق مخالفة السائد المهيمن مخالفة تتّسم بالإضافة الجمالية أي إنتاج عناصر نوعية شكلا ومضمونا.

بمعنى أن التجريب الروائي ما هو إلا أسئلة مستدامة ملزم بها الروائي تعبّر عن مظاهر تحول الرواية من خصوصيات الفعل الروائي الكلاسيكي إلى استحداث خصوصيات جديدة يتّسم بها النص الروائي الجديد، إنه "الانتقال من الرواية الكلاسيكية -خطية الزمن، ذات البداية والنهاية، المتّسم بوحدة المادة الحكائية - إلى رواية تخرق هذه الخصائص -تكسر خطيّة الزمن، متعددة الأصوات الحكائية والترهينات السردية، مزيج من المواد الحكائية إلى مستوى قد يصل حدّ التناقض والانسجام".⁽¹⁾ إذا، هو أسئلة تتعلق بالواقع من أجل كسر خطية الفعل الروائي الكلاسيكي من خلال استحداث مفهوم الحداثة كونها سؤالا للكتابة هذا من جهة. ومن جهة أخرى هو أسئلة تتعلق بالجانب الجمالي؛ حيث أخذ الروائي على عاتقه ضرورة النزوع إلى التجريب والتجديد والتغيير والاختلاف من أجل تقويم ذاته وإعادة صناعتها وفقا لمتطلبات سياقات العصر.

إذا، فالتجريب الروائي هو استراتيجية نصّية أساسه هدم القوانين السردية النمطية المهيمنة وتقويضها؛ هدفه البحث عن المغاير باستمرار في أشكال الكتابة الروائية وأدواتها؛ أي خلق معايير جديدة تتلاءم مع المضامين المتولدة من إفرازات العصر. بناء عليه جاءت التساؤلات الإشكالية كالآتي:

- لماذا كل مرة يُعاد طرح مفهوم التجريب في مختلف الدراسات والأبحاث؟، هل يعتبر ذلك نتيجة لقصور البحث النقدي أم نتيجة لتعدد المفاهيم؟
- ما حقيقة التجريب الروائي في ظلّ الخضوع للسلطة (المهيمن والسائد) وهاجس النزوع للتجاوز (الحداثة والإبداع)؟
- أ. منهجية البحث:

اقتضت هذه الإشكالية مقاربتها من منظور المنهج الوصفي التحليلي.

ب. أهداف البحث:

- تسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف منها:
- إبراز أهم أسئلة مفهوم التجريب الروائي.
- الكشف عن خصوصية التجريب الروائي وجمالياته؛ بوصفه مشروعاً حدثياً استطاع أن يتموقع بقوة في الدراسات المعاصرة.

1. مفهوم التجريب:

يعدّ مفهوم التجريب من المفاهيم النقدية التي استطاعت أن تنتقل من ميدان البحث العلمي التجريبي إلى ميدان الفعل الإبداعي وبالتحديد إلى ممارسة الفعل الروائي، يستهدف القيم الجمالية وتحقيق المغايرة للسائد السردى، فضلاً عن الاستجابة لمقتضيات العصر؛ فما المقصود بالتجريب؟

أ. لغة:

- وردت مادة جرّب في المعاجم العربية بدلالات مختلفة منها:
- لسان العرب لابن منظور، كالآتي: "جرّب الرجل تجربة، والتجربة من المصادر المجموعة، قال النابغة: إلى اليوم كم جُرّين كل التجارب وقال الأعشى: كم جرّبوه فما زادت تجاربهم أبا قدامة إلاّ المجدّ والفنّعا ورجل مجرّب: قد بُلي ما عنده، ومجرّب: قد عرف الأمور وجربها... والمجرّب: الذي جرّب في الأمور وعرف ما عنده"⁽²⁾.
- قاموس المحيط للفيروزبادي، وردت: "جرّبه تجربة: اختبره، ورجل مجرّب كمعظمّ بُلي ما كان عنده، ومجرّب: عرف الأمور"⁽³⁾.

يتّضح من هذه التعاريف اللغوية أن التجريب يقتضي الاختبار والمعرفة؛ وهي المعاني التي تلتقي فيها معظم المعاجم العربية، بالتالي فالمعنى هنا قائم على البحث والملاحظة والتحليل والكشف للوصول إلى المعرفة أي إلى النتائج والأحكام.

ب. اصطلاحاً:

- تناول عديد الباحثين التجريب من زوايا مختلفة، منهم:
 - بن جمعة بوشوشة، إذ يقول: "فالتجريب أفق كتابة يصدر عن هاجس التجديد، الذي لا يتحقّق إلا عبر التحرّر من السائد؛ مما يجعله يمثّل شكلاً من أشكال تكريس حريّة المبدع الروائي من خلال ثورته على الأشكال النمطية في الكتابة الروائية".⁽⁴⁾ نتبين من خلال هذا التعريف أن التجريب هو قدرة الروائي على التحرّر من قيود الكتابة السائدة المهيمنة على الفكر الإبداعي من خلال خرق المألوف وابتداع كتابة جديدة.
 - سعيد يقطين فيتمثّل التجريب عنده في: "خلخلة ما يترسّخ في أذهاننا من قيّم نصّية"،⁽⁵⁾ يفهم من هذا القول إن التجريب هو الثورة على النموذج المألوف في الكتابة لأجل بلوغ آفاق لم تكتشف بعد، أي أن "تجرب أدوات جديدة وتدخل عناصر جديدة وغير معتادة".⁽⁶⁾ هكذا يظل التجريب متموقعا دائما بالموازاة مع مفهوم التجربة، كونه خاصية ملازمة للوعي البشري ومكوّنا هاماً في تفكيره.
 - وهو ما يلتقي مع ما طرحه جهاد عطا نعيّسة في قوله: التجريب "نمط من الفهم والممارسة يتسم برفض التقليد أو الركون إلى ما هو منجز في أي حقل من الحقول المعرفية والإبداعية، كما يتّسم بالمساءلة الدائمة للماضي والحاضر معا، استهدافا للأفضل والأقدر على الاتّساق مع العصر والاستجابة لحاجاته وضروريّاته".⁽⁷⁾ يعني التجريب في هذا التعريف المعايشة الفعلية للواقع الإنساني والثقافي بما فيها المعاناة القلقة؛ التي تسمح بتفعيل حركية التفكير حيث البحث والنظر، من ثم الوصول إلى المعرفة. إذا، فالتجريب فلسفته التساؤل التي ينزع بها إلى التجديد بتجاوز السائد في الكتابة الروائية.

تبعاً لذلك يمكن القول إن التجريب هو فعل إبداعي هدفه التجديد المنتج، شرطه الحرية، أدواته العدول والمفارقة والمعرفة، كل هذا لتحقيق النزوع الذي يستهدف القيم الجمالية.

2. مفهوم التجريب الروائي (Experimentation Romanesque):

لعل السؤال الذي يجدر بنا طرحه في هذا السياق هو: كيف ارتحل مفهوم التجريب من حقل العلوم التجريبية إلى الممارسة الإبداعية الروائية بصفة خاصة؟، للإجابة عن هذا التساؤل، لابد من الوقوف عند جهود إميل زولا (Emile. Zola)؛ كونه أحدث رجّة عنيفة في دعوته إلى التسوية بين الأديب والعالم، أي أن يصبح الكاتب مثل العامل في معمله، والطبيب في تجاربه من خلال التعامل مع الخيال الإبداعي كما يتعامل العالم مع المادة في المختبر.

أ. زولا والتجريب: ماذا بين جدية المخبر وجماليات النص الروائي؟

طرح إميل زولا كتابه الشهير الرواية التجريبية (Roman Expérimental) الذي دعا من خلاله إلى معالجة الرواية بصفتها مختبراً "أراد أن يقيم الرواية على أساس علمي، ويحلّ التجربة والوثيقة محلّ الخيال والإبداع"⁽⁸⁾ يمكن عن طريقه الكشف عن السلوك الإنساني وأثار الواقع فيه، فضلاً عن علاقاته مع المجتمع، وذلك برصد الظواهر الإبداعية عن طريق كشف الأساليب الإنشائية والطاقت الخيالية المجسّدة للواقع، وكذلك رصد طرائق الكتابة وصياغتها، وهي الأدوات التي تسمح بكشف مدى قدرة المبدع على تطوير أفكاره وتجديدها من جهة؛ و القدرة على التجريب المنتج من جهة أخرى، لكن إلى أي مدى يمكن أن تضيق الذات المبدعة في ظل إقصاء الإنسان من إنسانيته؟، وهي الدعوة التي لاقت انتقادات كبيرة ما أدى إلى ظهور مناهضين له؛ كونها قد تسلب الأديب إنسانيته ويصبح أكثر ارتباطاً بالمادة، من ثم يفقد الأدب وظيفته الجمالية وغايته الإبداعية والإمتاعية؛ فما معنى التجريب الروائي؟.

ب. التجريب وجماليات الكتابة:

شهدت الكتابة الروائية في العالم العربي منذ القرن العشرين مسارات تحول ومغايرة خاصة على الصعيد البنيوي؛ نتيجة تأثرها الكبير بالتطوّر الذي عرفته الرواية الغربية شكلاً ومضموناً. وهو التحوّل الذي ارتبط خاصة بنكسة 1967؛ حيث كان "دليلاً على

خصوصية الابداع العربي وحرصه على التحقق متحرراً من الوصاية والاملاء".⁽⁹⁾ من خلال مواكبة الفعل الروائي للتحوّلات المجتمعية؛ عن طريق كسر قواعد اللعبة السردية؛ ليس بتحقيق مفهوم القطيعة؛ ولكن من خلال " استحضار تبادل التأثير وردود الفعل، وافتراض انتقالات وارتدادات، وتحول القضايا من المركز إلى الهامش، والعكس بالعكس"⁽¹⁰⁾. وهو الأمر الذي أدى بالروائيين العرب -رواد التجريب الروائي- منهم: (محمد شكري، أحمد المدني، محمد برادة، واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي، سعيد يقطين، محمد عز الدين التازي،...) إلى إعادة طرح أسئلة الوجود وخطاب المشروعات أو الأيديولوجيا المفروضة بوصفه خطاباً رسمياً مهيماً يجب التحرّر من سلطته عن طريق استكناه المسكوت عنه، وتعرية الأنساق المضمرّة فيه؛ ليغدو التجريب بذلك سؤالاً من أسئلة حداثة الفعل الروائي .

هكذا إذا، أسهمت مسارات التحول والمغايرة التي مسّت البنية المجتمعية في تغيير بناء الفعل الروائي. من خلال ولادة نموذج روائي جديد يختلف عن الخصائص المتواضع عليها في الفعل الروائي الكلاسيكي، منتجا لقواعد " جديدة على أنقاض تلك القديمة التي تهيمن رداً من الزمن"⁽¹¹⁾، خارقة لقواعد اللعبة السردية المتعارف عليها؛ والمتمثلة في: السارد، الزمن، الفضاء، الرؤية، الصيغة، الشخصيات، الأحداث، ليحيل بذلك التجريب الروائي على نمط من الكتابة الإبداعية الجديدة" تأسست بفعل مراس متكرر ومتراكم حتى انتقل من التجربة إلى التجريب؛ لينتقل من التجربة الفردية الخاصة إلى تجريب مشترك يطبع الجنس الروائي"،⁽¹²⁾ وهو الأمر الذي يؤكد على الطبيعة الانزياحية الدائمة للفعل الروائي؛ الذي يروم دائماً كل ما هو جديد ومتميز؛ عن طريق البحث الذي يغري الروائي بارتداد التجريب أفقا للكتابة الروائية.

وإذا كان منطق التجديد يقتضي بأن يصنع الأديب المفارقة والتميّز، الذي يحقّق له الخصوصية عن طريق البحث الدائم، فإن التجريب الروائي يصير في هذه الحالة من سمات الوعي لدى المبدع لأن الجدل حول التجريب الإبداعي ذو أطراف متعددة، فهو "لا يتمّ داخل المبدع في عالمه الخاص، بل يمتدّ إلى التقاليد التي يتجاوزها، والفضاء الذي يستشرفه المخيال الجماعي"⁽¹³⁾.

وعليه، إذا فالتجريب الروائي هو علامة الوعي لدى المبدع لنفسه أولاً، ثم للأعراف السائدة التي يجب العدول عنها، فضلاً عن التجديد الذي يريده. بالتالي، فالذي يمارس التجريب إنما يمارس ثنائية الهدم / البناء، ويشارك في ارتداد آفاق لم تكتشف بعد، في حين إن

من يسير على آثار غيره، ويحجم عن المغامرة مثال مشوّه أو منقوص" (14). أي أن ممارسة التجريب لدى الذات المبدعة ليس فقط تحقيق التمايز عن غيرها، إنما هو أيضا تحقيق التمايز عن نفسها.

3. جدلية التجريب الروائي والسلطة (المهيمن والسائد):

إذا كان التجريب في الكتابة الروائية هو سؤال الفعل الروائي وأحد آفاق حداثته، أي يصير بذلك نفيا للنموذج المهيمن؛ فإنه بالضرورة سيدمر سلطة السائد القديم المهيمن بالبحث عن إجابات جديدة، التي تحقق للأديب والمبدع عموما التفرد والتميز. لأن سؤال التجريب سيصبح "سؤالا جماليا بالأساس متعلقا بطرفي التواصل، نعني المبدع والمتلقي، لأن وعيها به، سيساهم بالضرورة في تدريب الذائقة على مخالفة السائد، وما لم يعد متناغما مع حاجات الانسان في التعبير والتفكير". (15) بمعنى إدراك التجريب باعتباره خلخلة مستدامة لقواعد اللعبة السردية.

أ. مفهوم السلطة:

يعتبر مفهوم السلطة من المفاهيم التي يصعب الوقوف عند تحديداته الدقيقة، لكونه يحمل مفهوما مجازيا حينما يوظف في التفاعل الخطابي، لذلك تعددت تعريفاته ومفاهيمه. إذ تناولها الدارسون والنقاد من وجهات نظر مختلفة، منهم:

- نصيف نصّار الذي يعرفها قائلا: "السلطة بمعناها العام هي الحق في الأمر، فهي تستلزم أمرا وأمورا وأمرا، أمرا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، وأمورا عليه واجب الطاعة للأمر بتنفيذ الأمر الموجه إليه" (16)، فهذا التعريف يتخذ شكلا علائقيا مع الخطاب من خلال ضرورة توفر طرفيه أحدهما أمر (المخاطب)، والآخر مأمور (المخاطب)، فضلا على أن قوة الفعل الإنجازية في (الأمر) لا تتّضح إلا في الخطاب وبالخطاب، أي في الاستعمال، وهو المعنى الذي يلتقي مع ما ذهب إليه براون (Brown) وآخرون في قولهم: "إن شخصا ما يستطيع أن يمتلك السلطة على شخص آخر، بالقدر الذي يستطيع أن يسيطر على سلوكه" (17)، أي من يمتلك السلطة يمتلك قوة التغيير والهيمنة والتوجيه.

ولكي نقارب مفهوم السلطة أكثر أو بصورة أوضح، نقف عند تعريف ميشال فوكو (Michel Foucault) لها، حيث يقول: إن "السلطة تعني بادئ ذي بدء علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة (*) للمجال الذي تعمل فيه تلك القوى، مكونة لتنظيم تلك

العلاقات، إنها الحركة التي تحول تلك القوى وتزيد من حدتها وتقلب موازينها بفعل الصراعات والمواجهات التي لا تنقطع، وهي السند الذي تجده تلك القوى عند بعضها البعض... وهي أخيرا الاستراتيجية التي تفعل فيها تلك القوى فعلها"⁽¹⁸⁾، يتضح من هذا النص أن السلطة ليست بنية محددة، إنما هي تلك الوضعيات الإستراتيجية المعقدة الموجودة في المجتمع، بمعنى أنها "عبارة عن علاقة قوى، وأن كل علاقة قوى هي بالضرورة علاقة سلطة"⁽¹⁹⁾، أي أن القوة ليست قوة مفردة، بل مرتبطة في حقيقتها بمجموع قوى أخرى، ثم أن كل قوة هي في الأصل علاقة، أي سلطة تتجسد في مقولات معينة تمثلها الأفعال الآتية: التحريض، الإثارة، الحث، وغيرها. وهي بدورها تمثل تلك العلاقات التي تحدث في المجتمع، لأنها قد تكون غير متكافئة، فإن المخاطب (المرسل) يعمل على الربط بينها، ويأخذها بعين الاعتبار في إنتاجه للخطاب، للإشارة فإن فوكو (M. Foucault) حدّد مفهوم السلطة أيضا في علاقة التأثير والتأثر، لأن كل قوة قادرة على التأثير والتأثر بقوى أخرى.

لنصل إلى تحديد دقيق أقرب إلى السلطة حسب جيل دلوز (G. Deleuze)، حيث يقول، متحدّثا عن السلطة: "عبارة عن ممارسة خطابية، وتعريف الخطاب من ثم، بأنه عبارة عن دالة السلطة، أو هو-حسب عبارة فوكو- عبارة عن عرض لشبكة علاقات القوى الخاصة بتشكيله خطابية معينة، وتوزيع سلطة التأثير والتأثر، وتجسيد الوظائف الخالصة غير المتقصفة لشكل وامتلاؤها بمواد خالصة غير ذات شكل"⁽²⁰⁾، هذا النص يؤكد أن كل قوة متضمنة لعلاقات سلطة، أي كل حقل قوى السلطة موجودة في علاقات دائمة بينها، ينتج عنها معنى جديدا أو إنتاجا جديدا وفق سلطة التأثير، التي تمثل مادة القوة، وسلطة التأثير التي تمثل دالة القوة، وهي مجردة لا تأخذ أي شكل، ولا هيئة، وتعني الوظيفة، بحيث ينظر إليها بعيدا عن أي استخدام نوعي، وعن أي مادة بعينها. من هذه التحديدات نستنتج أن السلطة ما هي إلا ممارسات خطابية أو ممارسة سلطوية تتجلى في العلاقات بين القوى المختلفة.

ب. التجريب والسائد (خصائص الفعل الروائي الكلاسيكي):

الملاحظ للمفهوم المعاصر للتجريب الروائي، يجده مرتبطا بالمفاهيم المتغيرة للكتابة الروائية وتنوعها؛ المختلفة تماما عن خصائص المفاهيم الكلاسيكية للفعل الروائي. ومنها تلك الدلالات التي تضاف "إلى البحث عن أشكال جديدة تكسر المنوالية وتتمرد على القوالب

الكلاسيكية الموروثة؛ ...، الشيء الذي جعل الباب مشرّعا أمام ابتكار أشكال إبداعية جديدة من خلال التجريب، فأصبح بإمكان كل مبدع نهج أسلوب خاص ونهج مغاير للسائد شكلا ومضمونا.⁽²¹⁾ بمعنى خلق نماذج إبداعية تتجاوز خصائص الفعل الروائي الكلاسيكي.

وإذا كان الفعل الروائي فعلا دائما الحركة المتجاوز لأعراف الكتابة الروائية، كونه لا يملك قوانين ثابتة، فإنه سيحظى بالتجاوز والتداخل والتجيين، بالتالي سيحمل خصائص التغير والتبدل. خاصة وأن الرواية كما يقول ميخائيل باختين: "غير قابلة للتقنين بطبيعتها مادامت شكلا يبحث بشكل دائم، ويحلل ذاته أبدا ويعيد النظر في كل الأشكال التي يستقرّ فيها، من هنا صعوبة الحديث عن معايير نموذجية قارة"⁽²²⁾.

من ثم يمكن القول إن التجريب هو تجديد لما سبق من الإبداعات الروائية، بعبارة أدقّ هو إحداث للقطيعة مع النموذج الشكلي للرواية؛ لكن بقي في تواصل مع النموذج السردي من حيث الموضوعات من خلال استرجاع للتاريخ، بهدف إقامة علاقات جدلية بين الماضي والحاضر" بالأسئلة التي تسعى إلى تدمير سلطة السائد والمألوف والفني ثقافيا واجتماعيا؛ بالبحث عن إجابات جديدة غير تلك التي جفت، إجابات هي أجمل وأعمق لعلاقات الواقع، لكنها تحمل أجنة أسئلة أخرى"⁽²³⁾. أي البحث عما لم يُكتشف بعد، بأسئلة جديدة تتماشى والواقع المعاش، عن طريق الانزياح عن هيمنة نموذج ونسق الكتابة الروائية الجاهز والمستهلك بالتمرد على السلطة الإبداعية (الثقافية) والسعي الدائم إلى اختراق هذا النموذج بامتلاك سلطة مقاومة ومضادة قادرة على العبور من الشكل إلى المضمون بل على استحداث فكر حدائي كضرورة للتطور.

إذا، حتى يتحقق ذلك لابد من التماس متطلبات الوعي الجمعي في التجريب حيث يكون الهدف منه هو التنوير عن طريق اختلاق سؤال يجب أن يكون "سؤالا جماليا بالأساس متعلقا بطرفي التواصل، نعني المبدع والمتلقي، لأن وعيها به سيساهم بالضرورة في تدريب الذائقة على مخالفة السائد وما لم يُعد متناغما مع حاجات الإنسان في التعبير والتفكير"⁽²⁴⁾.

بالتالي، فالتجريب "لا يعني الخروج عن المألوف بطريقة اعتباطية ولا اقتباس وصفات وأشكال جربها الآخرون في سياق مغاير، إن التجريب يقتضي الوعي بالتجريب؛ أي توقّر الكاتب على معرفة الأسس النظرية لتجارب الآخرين وتوقّره على الأسئلة الخاصة التي يسعى إلى صياغتها صوغا فنيا يستجيب لسياقه الثقافي ورؤيته للعالم"⁽²⁵⁾. فهو ممارسة وتصور داخل

حركية الفعل الروائي التي تستمد تشكّلها من دينامية المجتمع في تغيراتها وتحولاتها، بواسطة صياغة أسئلة متجددة تسمح للمبدع بملامسة جوهر التجريب الفني " الذي ينبني على نقض المسلمات الجامدة، التقاليد الثابتة، والأعراف الخانقة " (26). إنه تمرّد على السلطة وسعي لاختراق أفقي الابداع والحدثة.

4. جدلية التجريب الروائي والتجاوز (الحدثة والإبداع):

يتبيّن من خلال ما سبق أن مفهوم التجريب الروائي قرين مفهومي الابداع والحدثة معا، فهو نمط من الكتابة الروائية الجديدة؛ يتضمن طرق وآليات وأشكال بل خصائص جديدة مخالفة للنموذج السائد، وخارقة لقواعد اللعبة السردية المتعارف عليها؛ فهو فن المغامرة الجمالية. كما أنه أيضا يعكس تجليات الحدثة من خلال توظيف التقنيات الحدثية؛ مثل: السرد، الحوار، السينما، الفنون التشكيلية، السيرة الذاتية، ... والتي جاءت نتيجة حتمية لمجمل المتغيرات والتحولات التي مسّت البنية المجتمعية والإبداعية سواء أكان ذلك في العالم الغربي أم العالم العربي. باختصار هو ثورة إبداعية -جمالية تنغيا الانخراط في مشروع حدائي للفعل الروائي تفرضه مقتضيات العصر.

أ. التجريب والحدثة:

يؤدي استهداف التميّز والتفرد من قبل الروائي -المبدع إلى ارتياد التجريب الروائي. كونه أفقا لحدثة الكتابة الروائية وأحد أسئلتها، التي تحقق المغايرة لقواعد اللعبة السردية. لذلك، اقترن مفهوم الحدثة بالخروج عن السائد وخرق المألوف، بل بتكسير حدود الماضي وتشبيد روح العصر، فهو رؤية جديدة للعالم أساسها التساؤل والاحتجاج على السائد والمهيمن؛ فما الحدثة؟

مفهوم الحدثة: تناول الدارسون والنقاد هذا المصطلح من زوايا مختلفة، ومنهم:

يعرّف بن جمعة بوشوشة الحدثة فيقول: الحدثة " ليست شكلا بقدر ما هي وعي يربك الوعي السائد، ويقدم الرؤية البديلة القائمة على مساءلة الذات، والكتابة الروائية تصوّرا وممارسة" (27)، يتجلى من هذا التعريف أن مفهوم الحدثة أوسع من التجريب، فهي ثورة بكل مكوناتها على الثوابت والأعراف المهيمنة سواء أكان ذلك على مستوى الشكل أم المضمون في النموذج التقليدي للرواية، إنها الوعي الحدائي للكتابة الروائية المناهضة للقواعد النمطية الجاهزة والمستهلكة.

من هذا المنطلق، يتبين أن تجديد خصائص الفعل الروائي؛ يعني بالضرورة تجليات مفهوم الحداثة التي تُعنى بتجاوز البنية التقليدية للكتابة الروائية وكسر خطيتها، وذلك "من خلال التخلي عن السرد النمطي وعن أحادية الصوت وعن الإيحاء باستنساخ الواقع وجعل الأزمنة والفضاءات متداخلة"،⁽²⁸⁾ فضلا عن خطية الزمن والبداية والنهاية و... وغيرها من الخصائص الفنية للنموذج الروائي الكلاسيكي.

وعليه؛ يُعدّ "التجريب أحد آفاق الحداثة الروائية وأحد أسئلتها ورهانا من رهاناتها، وإن كان من العسير اعتبار التجريب حداثة بحكم أنه يمثل تنوعا في مركبات النص السردي بحثا عن الكتابة المغايرة للنموذج الروائي التقليدي تصوّرا وممارسة في آن"⁽²⁹⁾، لأن التجريب لا يتعدى حدود التغيير على مستوى الشكل (مركّب اللغة) كما هو الشأن في الثقافة الغربية، ليبقى التغيير الشكلي في الرواية هو القاسم المشترك بين الحداثة والتجريب، الذي يعني التحرّر من قيود الماضي الشكلية المقيّدة للإبداع.

ب. التجريب وفعل الإبداع:

إذا سلّمنا بأن التجريب هو الفعل الانجازي الروائي المتميّز "لأنه يتمثّل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته، عندما يتجاوز المؤلف ويغامر في قلب المستقبل"،⁽³⁰⁾ فما الإبداع؟

مفهوم الإبداع:

يعرفه محمد صابر عبيد قائلا: "الإبداع هو فن المغامرة الجمالية، التي تعبّر عن فعل اختراق من طراز رفيع."⁽³¹⁾ يشير هذا المفهوم إلى أن الإبداع هو اختراق للأشكال النمطية للفعل الروائي قصد إنتاج فعل متجدد يتضمن رؤية مغايرة للإنسان والمجتمع يختلف عن النموذج السائد.

أما سلوى عبد المعبود فتري أن عملية الإبداع ليست "في جوهرها سوى ضرب من التحرّر من قيود الزمان والمكان، والتجديد لما هو في سلوك الناس وفكرهم، والمبدع يستعير من الماضي لكنه ليس أسيرا له."⁽³²⁾ لأن أصل الإبداع لا يكون من العدم، إنما يتأسس الشيء عن الشيء -على حدّ تعبير عبد القاهر الجرجاني-، فهو نتاج التقارب والتفاعل بين الذات المبدعة والموضوع (مادة الكتابة) المأخوذة أساسا من المجتمع بكل أبنيته وتحولاته، ولما كانت هذه البنى متحوّلة كان الإبداع في ديناميكية متواصلة ومسيرا لها، بل انعكاسا لها في زمن ما.

إذا، فالتجريب يقارب الإبداع بل هو قرينه؛ لأن "من لا يبدع داخل التجريب فلا تجريب له ومن لا يجرب داخل الكتابة دون أن يتجاوز فلا إبداع فيما يكتب" (33). إذا فكلاهما ابتكار لطرائق وأساليب جديدة في التعبير الجمالي. هكذا "يضحي التجريب الحقيقي صيغة من صيغ الابتكار والتجديد يضيف نقلات نوعية للتجارب الإبداعية في علاقتها برؤية التغير الاجتماعي" (34)؛ حيث الاستجابة لمتطلبات الإنسان المعاصر وطموحاته.

5. النتائج والتوصيات:

- بناء على ما سبق نقول: إن التجريب هو رؤية إبداعية، تتحقق عبر تجاوز سلطة السائد والمهيمن إلى الحداثة والإبداع، تستوعب كل المفاهيم الآتية:
- إن التجريب هو مغامرة الكتابة التي تسعى إلى طرح مشروع مغاير منفتح على التعدد الأجناسي وتداخل الخطابات وتفاعلاتها. فهو ليس تحقيقا للتمايز عن الغير فقط، بل هو تحقيقا للتمايز عن الذات أيضا.
 - إن التجريب هو تحول ثقافي، يُبنى على المعرفة والوعي، يبدأ من رؤية خاصّة إلى الذات والمجتمع والعالم. أي هو علامة الوعي لدى المبدع لنفسه أولا، ثم للأعراف السائدة ثانيا.
 - إن التجريب ليس حدثا استثنائيا مرتبطا بلحظة قلق لكيثونة الإنسان المعاصر؛ بل هو إعادة تشكيل متجدد للمعرفة السابقة قبل كل شيء، عن طريق طرح أسئلة جديدة تتجاوز الماضي والحاضر وتستجيب بطريقة أجمل وأعمق للواقع المعاش، كما تحمل في طياتها أيضا بوادر أسئلة أخرى.
 - لنجل مضمون الورقة فيما يلي: فلسفة التجريب هي التساؤل والاحتجاج، هاجسه هو التجديد والتغيير، هدفه هو الإبداع وتحقيق الأفضل والأقدر على الاستجابة لحاجات الإنسان المعاصر، لكن لا يتحقق ذلك إلا في ظل الحرية والعدول والمفارقة والوعي والمعرفة.

قائمة المصادر والمراجع:

- [1] Brown .R and Gilman. A ,The Pronouns of power and solidarity, in : Giglioli (ed) language and social context, Penguin books, 1972.
- [2] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997.
- [3] بن جمعة بوشوشة، التجريب وارتحالات السرد الروائي المغربي، المغربية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2003.
- [4] جهاد عطا نعيصة، في مشكلات السرد الروائي، (قراءة خلافة في عدد من النصوص والتجارب الروائية العربية والعربية السورية المعاصرة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.
- [5] جورج لوكاتش، الرواية، ترجمة: مرزاق بقطاش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- [6] خالد الغريبي، الشعر التونسي المعاصر بين التجريب والتشكل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، تونس جويلية، ط1، 2005.
- [7] دلوز جيل، المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1987.
- [8] سعيد يقطين، القراءة والتجربة (حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد في المغرب)، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1985.
- [9] سلوى عبد المعبود محمد، الإبداع ما هو؟ ما ضوابطه؟، التاريخ: 2012/10/15، ينظر الرابط: [www.alukah.net/ literature language](http://www.alukah.net/literature_language)
- [10] صحيفة الرأي، التقنيات الحداثية في الرواية العربية، 23 يناير 2018، ينظر الرابط: <http://alrai.com/article/760093.litml>
- [11] صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- [12] عمر حفيظ، التجريب في كتابات إبراهيم الدردغوثي القصصية والروائية، المطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار تونس، ط1، 1999.
- [13] فوكو ميشال، جنالوجيا المعرفة، ترجمة: أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2008.
- [14] الفيروزيادي (محي الدين يعقوب الشيرازي)، القاموس المحيط، المطبعة الأميرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1301هـ.
- [15] كريزويل ايديث، البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، ترجمة: جابر عصفور، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، 1985.
- [16] محمد أمنصور، استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.
- [17] محمد برادة، "القصة القصيرة (الهوية، التجريب، الصيرورة)"، دورية الحوار الأكاديمي والجامعي، العدد 07، 1988.

- [18] محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، دار صدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي، 2011.
- [19] محمد خير الرفاعي، "أدبيات التجريب في الكتابة المسرحية: المسرح الغربي نموذجاً"، المجلة الأردنية للفنون، مجلد 01، عدد 01، 2009.
- [20] محمد صابر عبيد، المغامرة الجمالية للنص الشعري، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008.
- [21] مولاي مروان العلوي، سؤال التجريب في الرواية العربية: من متاهة العنوان إلى متاهة التأويل، أعمال المؤتمر العربي الثاني للرواية العربية: التجريب في الرواية العربية: الواقع والأفاق، جامعة شعيب الدكالي، المملكة المغربية 23/24/25 ابريل 2018،
- [22] نصار ناصيف، منطق السلطة، (مدخل إلى فلسفة الأمر)، دار أمواج، بيروت، ط1، 1995.
- [23] هناء عبد الفتاح، "أصول التجريب في المسرح المعاصر، النظري والتطبيقي"، فصول، مجلة النقد الأدبي، مجلد 14، عدد 01، ربيع 1995
- [24] يقطين سعيد، التجريب وما بعد التجريب أية صيرورة ؟ من كتاب التجريب في الأجناس الأدبية، إعداد وإشراف عز العرب إدريسي أزمي وعبد العزيز ينار، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2017.

الهوامش:

- (¹) مولاي مروان العلوي، سؤال التجريب في الرواية العربية: من متاهة العنوان إلى متاهة التأويل، أعمال المؤتمر العربي الثاني للرواية العربية: التجريب في الرواية العربية: الواقع والأفاق، 23 جامعة شعيب الدكالي، المملكة المغربية 23/24/25 ابريل 2018، ص49.
- (²) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997، ص: 161، 162، مادة: ج، ر، ب.
- (³) الفيروزبادي (محي الدين يعقوب الشيرازي)، القاموس المحيط، المطبعة الأميرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1301هـ، ص: 46، مادة: ج، ر، ب.
- (⁴) بن جمعة بوشوشة، التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2003، ص: 10.
- (⁵) سعيد يقطين، القراءة والتجربة (حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد في المغرب)، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1985، ص: 87.
- (⁶) نفسه، ص: 24.
- (⁷) جهاد عطا نعيصة، في مشكلات السرد الروائي، (قراءة خلافية في عدد من النصوص والتجارب الروائية العربية والعربية السورية المعاصرة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص: 78.
- (⁸) جورج لوكاتش، الرواية، ترجمة: مزراق بقطاش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 81.
- (⁹) محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، دار صدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي، 2011، ص: 17.
- (¹⁰) نفسه، ص: 17.

- (¹¹) يقطين سعيد ، التجريب وما بعد التجريب أية صيرورة ؟ من كتاب التجريب في الأجناس الأدبية ، إعداد وإشراف عز العرب إدريسي أزمي وعبد العزيز بنار ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2017 ، ص: 06.
- (¹²) مولاي مروان العلوي، سؤال التجريب في الرواية العربية: من متاهة العنوان إلى متاهة التأويل ، ص: 53-54.
- (¹³) صلاح فضل ، لذة التجريب الروائي ، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2005 ، ص: 03.
- (¹⁴) عمر حفيظ ، التجريب في كتابات إبراهيم الدرغوثي القصصية والروائية ، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار تونس ، ط1 ، 1999 ، ص: 10 ، 11.
- (¹⁵) نفسه ، ص: 12.
- (¹⁶) نصار ناصيف، منطق السلطة، (مدخل إلى فلسفة الأمر)، دار أمواج، بيروت، ط1، 1995، ص: 07.
- (¹⁷) (language and social) Giglioli (ed: in , Brown .R and Gilman. A, The Pronouns of power and solidarity -) (context, Penguin books, 1972, p: 255.
- (¹⁸) المحايثة: مصطلح يدل على الاهتمام بالشيء من حيث هو ذاته وفي ذاته ، "فالنظرة المحايثة هي التي تفسر الأشياء في ذاتها، ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تنبع من داخلها، وليس من الخارج " ، ينظر كريزويل ايديث، البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، ترجمة: جابر عصفور ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، 1985، ص: 276.
- (¹⁹) فوكو ميشال، جنياولوجيا المعرفة، ترجمة: أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2008، ص: 105.
- (²⁰) دلوز جيل، المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص: 77.
- (²¹) نفسه، ص: 80.
- (²²) مولاي مروان العلوي، سؤال التجريب في الرواية العربية: من متاهة العنوان إلى متاهة التأويل، ص: 54.
- (²³) محمد أمنصور، استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2006 ، ص: 61.
- (²⁴) بن جمعة بوشوشة، التجريب وارتحالات السرد الروائي المغربي، ص: 31.
- (²⁵) عمر حفيظ، التجريب في كتابات إبراهيم الدرغوثي القصصية والروائية، ص: 12.
- (²⁶) محمد برادة، "القصّة القصيرة (الهوية، التجريب، الصيرورة)"، دورية الحوار الأكاديمي والجامعي، العدد 07، 1988، ص: 42.
- (²⁷) هناء عبد الفتاح، "أصول التجريب في المسرح المعاصر، النظري والتطبيقي" ، فصول ، مجلة النقد الأدبي ، مجلد 14، عدد 01، ربيع 1995، ص: 39.
- (²⁸) بن جمعة بوشوشة، التجريب و ارتحالات السرد الروائي المغربي ، ص: 15.
- (²⁹) صحيفة الرأي ، التقنيات الحداثيّة في الرواية العربيّة ، 23 يناير 2018 ، ينظر الرابط : <http://alrai.com/article/760093.litml>
- (³⁰) بن جمعة بوشوشة، التجريب و ارتحالات السرد الروائي المغربي ، ص: 08.
- (³¹) صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، ص: 03.
- (³²) محمد صابر عبيد، المغامرة الجمالية للنص الشعري، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008، ص: 93.

-
- (³²) سلوى عبد المعبود محمد، الإبداع ما هو؟ ما ضوابطه؟ ، التاريخ : 2012/10/15، ينظر الرابط : [www.alukah.net/literature language](http://www.alukah.net/literature_language)
- (³³) خالد الغريبي ، الشعر التونسي المعاصر بين التجريب والتشكل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس ، تونس جويلية ، ط1، 2005، ص: 21.
- (³⁴) محمد خير الرفاعي، "أدبيات التجريب في الكتابة المسرحية: المسرح الغربي نموذجاً"، المجلة الأردنية للفنون، مجلد 01، عدد 01، 2009، ص: 71-81.